محاضرة رقم: 05 تنزّلات القرآن

أوّلا : تعريف النّزول

الحقيقة اللّغوية للفظ :(نزل) تطلق العرب لفظ النّزول ، وتريد به:

- المعنى الأول: . **الحلول في المكان**: نزل بمعنى حلّ، يقال نزل فلان بالمدينة: حلّ بها، وبالقوم: حلّ بينهم، والمتعدي منه الإنزال ومعناه: الإحلال، يقال: أنزلته بين القوم، أي أحللته بينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾ [سورة المؤمنون: 29].

- المعنى الثاني: **الإنحدار من أعلى إلى أسفل**، نحو نزل فلان من الجبل. والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل .ومنه قوله تعالى: ﴿**وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ **[المؤمنون -19]** ﴿**وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾**:[الفرقان:48]** ﴿**وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾**[لقمان:10].**

الحقيقة الاصطلاحية للفظ النّزول:

تبين من خلال ما سبق أن المعنى اللغوي يتردد بين مفهومي الحلول في المكان و الانحدار من أعلى إلى أسفل، وفي المعنى الجامع ما يدل على الأمرين، وجميعها يتطلب افتكاك المعنى الاصطلاحي الذي يؤدي المعنى ولا يؤثر على العقيدة، ولا ريب أنّ كلا المعنيين اللغويين لا يليقان بنزول القرآن على وجه الحقيقة، لاقتضائهما الجسمية والمكانية والانتقال، إذن فنحن بحاجة إلى التجوز والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح. وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته. و يمكن تعريفه ب:"**إعلام الله تعالى نبيه بالقرآن الكريم** " وتكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي اللزوم لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به .

- وكأن وجه اختيار التعبير بمادة الإنزال وما تصرف منها أو التقى معها هو التنويه بشرف ذلك الكتاب نظرا إلى ما تشير إليه هذه المادة من علو صاحب هذا الكتاب المنزل علوا كبيرا كما قال تعالى في فاتحة سورة الزخرف: {حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} .[الزخرف:1-2-3-4]
- ثم إن تأويل الإنزال بالإعلام على ما رأيت هو الأقرب والأوفق بالمقام وذلك من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن تعلق الكلام تعلق دلالة وإفهام ولا ريب أن القرآن كلام فتأويل إنزاله بالإعلام رجوع إلى ما هو معلوم من تعلقه ومفهوم من تحققه.

ثانيها: أن المقصود من ثبوت القرآن في اللّوح وفي سماء الدنيا وفي قلب النبي صلى الله عليه وسلم هو إعلام الخلق في العالمين العلوي والسفلي بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق .

ثالثها: أن تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأي إطلاق من إطلاقاته وعلى أي تنزل من تنزلاته.

ثانيا: أنواع تنزلات القرآن:

شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزلات:

01- التّنزل الأول في اللّوح المحفوظ[1] ودليله قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [سورة البروج الآية 21، 22]، وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه. وكان جملة لا مفرقا لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق ولا صارف عنه.

- **الحكمة من هذا النّزول:** تسري عليه القاعدة العامة على القضاءت والأقدار التي أرادها تعالى للعالمين ،فوجود اللوح نفسه وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله وقدر مظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله وعلمه وإرادته وواسع سلطانه وقدرته. ولا ريب أن إيمان العبد باللوح ،فيه أثر صالح في استقامة المؤمن على الجادة وتفانيه في طاعة الله ومراضيه وبعده عن مساخطه ومعاصيه لاعتقاده أنها مسطورة عند الله في لوحه.

02- التنزّل الثّاني من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة[2] **في السّماء الدنيا:** وهذه المرحلة تحدث عنها القرآن الكريم في ثلاث مواضع، أحدها عام هو قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة الآية 185]وما بقي فهي مواضع خاصة في قوله

[1] اللوح المحفوظ: "هو سجل دوّنت فيه جميع القضاءات والأقدار التي قدّرها الله على الناس إلى يوم القيامة" وقد ثبت في حديث" ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ خَلَقَهُ مِنْ هَجَا قَبْلَ الأَلْفِ وَاللاَّمِ، فَتَصَوَّرَ قَلَمًا مِنْ نُورٍ فَقِيلَ لَهُ اجْرِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَالَ: يَا رَبِّ بِمَاذَا؟ قَالَ: بِمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"ينظر الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج2، ص 453.

[2]. بيت في السماء الدنيا إذ في أقوال العلماء أن في كل سماء بيت

تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [سورة الدخان الآية 3]﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة القدر الآية 1]

ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

- **الحكمة من هذا التنزل:**

- إعلاء شأن الكتاب .
- إعلام أهل السماوات بأن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة على خير الخلق أجمعين عليه الصلاة والسلام.
- - تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم .

03- التنزل الثالث من بيت العزة في السماء الدنيا إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم منجما مفرقا ودليله قوله تعالى: "﴿نزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ"﴾ [سورة الشعراء الآية 193، 194]. وعن ابن عباس قال: "أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر. ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة"[3], ثم قرأ: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان الآية 33]﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الاسراء:106] وقد تتابع تنْزيله على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طوال فترة بعثته على حسب الخلاف الوارد في مدة نبوته (عشرين سنة، أو ثلاثٍ وعشرين سنةأو خمسٍ وعشرين) .

- **الحكمة من نزول القرآن منجما مفرقا:**

01. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه:

- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلّم بسبب ما يلاقيه من عنت المشركين، فينْزل القرآن عليه ليهبه ذلك التَّنَزل طمأنينةً وثباتاً، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [الفرقان: 32]. وهذه الآية صريحة بفائدة تنجيمه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

[3] رواه النسائي في السنن، ج10، ص 205

- كان تأخر الوحي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقلقه كثيراً، حتى كاد يخاف انقطاعه كما حصل فيما ذُكِر من سبب نزول سورة الضحى، التي ورد فيها الطمأنة له برضى ربه عنه، فقال: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 3].
- تيسير حفظ القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
- تجدد المعجزات مع كل نزول جديد لغرض التحدي.

02. الترفق بأحوال المكلّفين (التدرج في تربية الأمة).

- غياب التّفريع زمن التّشريع
- التخلية قبل التّحلية (التمهيد للتخلي عن العقائد الباطلة ثمّ التّحلي بالعقائد الفاضلة)
- تيسير حفظه وتسهيل مهمة تبليغه .

03. مسايرة الحوادث والطوارئ من عدة وجوه كذلك:

.إجابة السّائلين

.فض الأقضية والوقائع حين وقوعها والتي عادة أن تقع تدريجا.

* * *